

## المقدمة

محمد ﷺ خاتم النبيين ورسول الله تعالى الى البشرية أجمعين والذي وصفه الله تعالى بالخلق الرفيع، فكان مثلاً أعلى للأخلاق، قال تعالى ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ظل محمد ﷺ رمزا للوفاء المطلق لكل شيء خاصة للمرأة لما لها من ضعف معروف، وحنان دافق.

ولد ﷺ يتيم الأب، ولم يرتشف من حنان الأمومة إلا الللم، حيث توفيت أمه (آمنة) وهو ما يزال يخطو نحو السادسة من عمره بعد أن حرم منها فترة رضاعته في بادية بنى سعد، إلا أنه «ﷺ» ظل يذكرها طيلة حياته ويترحم عليها ويطلب لها المغفرة من الله تعالى.

كذلك كان ﷺ يكرم أمه من الرضاعة (حليمة السعدية) «رضى الله عنها» ويصلها ويبسط لها رداءه ويحنو عليها حتى وفاتها كما أكرم ﷺ «ثويبه» جارية عمه أبى لهب التي أرضعته عدة أيام حتى أخذته «حليمة» لترضعه في بادية بنى سعد.. حتى أنه كان يصل ابنها مسروح بعد وفاتها حتى توفي هو أيضا بعدها.

كذلك حاضنته أم أيمن «بركة» التي ظلت ترعاه حتى إذا كبرت، زوجها رسول الله ﷺ من زيد بن حارثة وكان يقول عنها (هذه بقيه أهل بيتي).

(١) سورة القلم، الآية ٤.

كما كان رسول الله ﷺ وفيها لامرأة عمه فاطمة بنت أسد (رضى الله عنها) وهى زوج عمه أبى طالب، وكان يقدرها ويعتز بها حتى أنه نزل فى قبرها، وألبسها قميصه، واضطجع فى قبرها لتكسى من حلال الجنة وليهون عليها عذاب القبر وفاء لها لأنها كانت بارة به.

أما عن (الشيءاء) أخت محمد ﷺ من الرضاعة والتي كانت تحمله فى طفولته، فقد كان ﷺ ييسط لها رداءه ويربها ويحسن اليها. وكذلك كان ﷺ باراً بجميع محارمه عماته وخالاته ونساء أهل بيته.

أما محمد ﷺ الأب فقد كان رفيقاً بيناته كريماً معهن، أرادهن مثلاً يحتذى لأهل البيت فى الزهد والتقشف، خاصة فاطمة (رضى الله عنها) التى كنىت (أم أبيها) لشدة حبها له « صلى الله عليه وسلم » وكانت أحب بناته اليه، وكان يغضب لغضبها، ويقول لها (يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك).

وقد كان موقفه من على بن أبى طالب (رضى الله عنه) حينما أراد أن يخطف جويرية بنت أبى جهل ما يؤكد انتصاره لفاطمة وحبها لها «رضى الله عنها».

أما حفيداته فقد كان يدللهن، ويحملهن على عاتقه حين يصلى ليضعهن اذا ركع، ثم يحملهن مرة أخرى حبا لهن وتديلاً لطفولتهن.

أما محمد ﷺ الزوج، فقد كان مثلاً رائعاً فى كل موقف له مع أزواجه، فقد ظل «ﷺ» مع زوجته خديجة «رضى الله عنها» وفيها لها طيلة حياته معها، فلم يتزوج عليها أى امرأة أخرى رغم كبر سنها، كما ظل وفيها أيضاً لها بعد وفاتها، فكان يحب حبيبها ويكرم صديقها ويرحب بكل ما له صلة بها ويهش له.

أما علاقته ﷺ مع سائر نسائه فقد كان مثلاً أعلى للزوج الوفي العادل الحكيم في كل موقف، عرف المرأة، بعمق وأعطى لأزواجه حقوقهن كامله، كان ﷺ عظيماً - وهو دائماً كذلك - في كل موقف مع أزواجه رضى الله عنهن، خاصة في المواقف التي اقتضت من الرجل أن يقرر أمورا خطيره تغير من مسار حياته أو تهدد أمان أسرته، فقد كان موقفه عظيماً حكيماً صامتاً في حادثة الإفك التي اتهمت فيها عائشة في شرفها ظلماً وبهتاناً حتى برأها الله تعالى من فوق سبع سموات لتكون مثلاً في الطهارة والشرف.

كذلك أيضاً حينما حاولت نساؤه أن يتكتلن عليه مطالبات بزيادة النفقة حتى أنه اعتزلهن شهراً، لم يقبح فيها ولم يتطاول عليهن، ولكنه اعتزلهن شهراً صامتاً متجنباً معاملاتهن، حتى نزل القرآن الكريم يخبرهن بين الحياة الدنيا ومتاعها الزائل، وبين اتباع نهج رسول الله ﷺ في الزهد والتقشف، وترك الدنيا وزينتها وراء ظهورهن، فاخترن جميعاً الله ورسوله. هذا بالإضافة إلى مواقف عديدة له ﷺ مع نسائه، سنشهداها من خلال السطور القادمة «بمشيئة الله تعالى».

أما عن خلقه ﷺ مع نسائه وأهل بيته، فقد وصفته السيدة/ أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت: (كان خلقه القرآن) كما روى عنها رضى الله عنها أنه ﷺ (كان أحسن الناس خلقاً، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صحابياً في الأسواق، ولا يجزى السيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح).

كذلك روت عنه رضى الله عنها أنه (كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضاحكاً بساماً).

وكان ﷺ متواضعاً الى أقصى حد في بيته حتى أنها كانت تقول عنه رضى الله عنها (كان عند منه أهله) ﷺ وكان رفيقاً رقيقاً مع أزواجه

رضى الله تعالى عنهن وكان حديثه المأثور ﷺ (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) وفي حديث آخر (خيركم خيركم لزوجه وأنا خيركم لزوجي)<sup>(١)</sup>.

أما عن علاقته ﷺ بالمرأة بصفة عامة، فقد كان - كما نعرف - المثل الأعلى للمؤمنين رجالا ونساء، فهو المعلم الأول والهادي للبشرية أجمعين، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكان ﷺ رفيقا بالمرأة وحديثه المعروف لبلال (رفقا بالقوارير) ما ينم عن ذلك، ولكنه أعطى لها حقها الكامل مثلها مثل الرجل في كل ميادين الحياة.

وقد كان للمرأة دور بارز في مدرسة رسول الله ﷺ، فاتخذن منه الأسوة الحسنة، وكانت هناك رائدات بارزات في بناء الأمة الإسلامية في عهد رسول الله ﷺ وما بعده، ضربن بذلك المثل الأعلى في التفوق في ميادين عديده سواء أكان ميدان الجهاد في سبيل الله بالهجرة، أم بحمل السلاح، أم بالجهاد بالنفس والمال والولد... أم في ميدان رواية الحديث الشريف بعد رسول الله ﷺ، أم الشاعرات، أو الفقيهات.. أم غير ذلك من ميادين الحياة التي ساهمت في بناء دولة الاسلام، فكانت لهن بصمات واضحة امتدت عبر التاريخ، حتى يومنا هذا..

وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن المرأة كانت جنبا الى جنب بجوار الرجل، وكان ﷺ يرحب بذلك ويشجعه، وله ﷺ مواقف عديدة معهن، كان يستشيرهن ويستمع اليهن سواء في بيته أو خارجه، مع أهل بيته أو مع غيرهن من النساء، خاصة وأنه ﷺ كان يحترم المرأة احتراما كبيرا، ويقدر لها كيانها، ورأيها خاصة اذا كان رأيا صائبا، حتى ولو كان في الأمور الجوهرية، وله آثار عميقة على مجريات الأمور.

#### د. سامية منيسبي

(١) أنظر: سنن ابن ماجه: كتاب باب حسن معاشره النساء.